فليتفضل من أوتوا حظاً من العلم فكان همهم نفع الانسان من حيث هو انسان ، وخدمة المعارف لانها مشاعة في الامم نافعة للعمران ، ويعنوا عليها من فيض قرائحهم وثمرات ابحاثهم بما تتألف منه ندوة علمية حافلة بالمطالب الممتعة الموجزة ، ومجلس علم يختلف اليه العالم والمتعلم فيعود كل منهما بغيته منه ، ومعرض حكمة تعرض في اصوته مايلائم اذواق أهل كل جيل وأفق من ضروب البضائع والاعلاق ، وديوان اخوان تسوده أقلام المنورين والمفكرين ، وتقرهم عليه طائفة العالمين العاملين .

والله المسئول ان يربأ بهذا المقتبس عن ان يكون جمية مشاغبة واهواء ، وصحيفة تجيح ورياء ، وان يبرئه من آفات التطويل والتكرار ، ويدفع عنه عوادي المعايب والمعاير ، ويجعله خير ذخر اذا الصحف نشرت ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه سبحانه وسعدانه .

صدور المشارقة والمغاربة

ابن حزم

ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ

في الناس من يفادون بنفوسهم حباً بنفع يرجون ان يجنيه اهلهم وعشيرتهم ويتمزون عن ذلك بما يصيبونه من مغنم ديني أو دنيوي ومن هذه الفئة ابن حزم الاندلسي . فقد ترك وزارة المستظهر بالله اختياراً لما آنس من نفسه الغناء في العلم ، وأقبل على القراءة وتقييد الآثار والسنن ، فنال من ذلك ملماً لم يله أحد قبله بالاندلس حتى عد فريد دهره . ووحيد قطره ، وألف من

كتب الادب، والدين والنسب وغيرها، ما يبلغ نحو اربعمائة مجلد أو نحو ثمانين الف ورقة

كان أبو محمد بن حزم على كثرة علمه وعقله، شديد اللهجة، صعب الطريقة، ولعل ذلك ناتج من العلة الشديدة (١) التي كانت اصابته كما قال عن نفسه فولدت عليه ريواً في الطحال شديداً فولد ذلك عليه من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر والنزق، أمراً جاشت نفسه فيه، اذ انه أنكر تبدل خلقه، واشتد عجبه من مفارقته لطبعه. وصح عنده ان الطحال موضع الفرح: اذا فسد تولد ضده. قال، ولكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحي فكري، وتهيج نشاطي، فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني، ما انبعثت لتلك التواليف.

وما يشاهد اذاً في كتابه الملل والنحل من افحاش الطعن على من خالفه قد دفعه اليه مزاجه، وكان هو السبب الذي دعا الى تألب خصومه عليه في حياته. قال أبو مروان بن حيان مؤرخ الاندلس: (٢) كان أبو محمد حافظاً فنوناً من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق باذيال الادب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة. له في بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير انه لم يخل فيها من غلط وسقط، لجرأته في التسور على الفنون لاسيما المنطق، فانهم زعموا انه زل هنالك، وضل في تلك المسالك، وخالف ارسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض في كتبه.

---

(١) مداواة النفوس (٢) الذخيرة لابن بسام وهو مخطوط بخط مغربي من خزانة كتب العلامة الفاضل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق

ومال أولاً به النظر في الفقه الى رأي محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله وناضل عن مذهبه ، وانحرف عن مذهب سواه ، حتى وُسم به ، ونسب اليه فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر الى قول أصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الامصار ، فنقحه ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه الى ان مضى لسبيله رحمه الله .

وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه ، ومذل (إفشاء) بأسراره ، واستناد الى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، ليبينه للناس ولا يكتمونه . فلم يك يلطف صدعه ، بما عنده ، بتعريض ولا يرنه بتدريج ، بل يصك به معارضه صكّ الجندل ، وينشقه متلقنه انتشاق الخردل ، فينفر عنه القلوب ، ويوقع به الندوب ، حتى استهدف الى فقهاء وقته فتمالأوا على بغضه ، وردوا أقواله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذّروا سلاطينهم من فتنه ، ونهوا عوامهم عن الدنو اليه ، والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة وبها توفي رحمه الله سنة ست وخمسين واربعمائة وهو في ذلك غير مرتدع ، ولا راجع الى ما أرادوا به . يبث علمه في من ينتابه ببادية تلك من عامة المقتبسين منهم من اصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة يحدثهم ويفقههم ، ويدارسهم ، ولا يدع المثابرة على (التعليم) والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف ، حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلوم نحو بعير يعد أكثرها عتبة باديته بتزهيد الفقهاء وطلاب العلم فيها ، حتى حرق بعضها بشبيلية . ومزقت علانية . لا يزيد مؤلفها في

ذلك الا بصيرة في نشرها ، وجدالاً للمعاند فيها ، الى ان مضي لسبيله

وأكثر معايبه زعموا عند المنصف له، جهله بسياسة العلم التي هي (أعوص) من ايعابه ، وتخلفه عن ذلك على قوة سبحه في غماره ، وعلى ذلك كله فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه ، ومغيب شاهد علمه عنه عند اتمائه ، الى ان يحرك بالسؤال فيفجر منه بحر لا يكدره الدلاء ، ولا تقصر عنه الرشاء ، له على كل ما ذكرناه دلائل ماثلة ، وأخبار مأثورة ، وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لامراء بني أمية ماضيهم وباقيهم ...

وبعد ان ذكر ابن حيان إدلال ابن حزم بأرومته ونسبه ، مع انه من عجم لبلة ، وماله من المجالس مع أولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام وأورد بعض تآليفه قال: ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رقّ وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من سر

وله : من ظلّ يبغي فروع علم ... يدري ولم يدر منه أصلا
فكلما ازداد فيه سعيا ... زاد لعمري بذاك جهلا

وقال : كأنك بالزوار لي قد تناذروا ... وقيل لهم أودى علي بن أحمد
فيا رب محزون هناك وضاحك ... وكم أدمع تذرى وخد مخدد
عفا الله عني يوم ارحل ظاعناً ... عن الاهل محمولا الى بطن ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطاً به ... والقى لدى أنست دهراً بترصد

فترا راحتي ان كان زادي مقدماً ويالهفي ان كنت لم اتزود

وبالبدائع هذا الخبر علي وغرره ما أوضحها على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه فازهد الناس في عالم أهله . وقبله رُدي العلماء بتبريزهم على من يقصر عنهم والحسد داء لادواء له ـ انتهى كلام ابن حيان في خبره

قلت انا (ابن بسام) ولعمري ماعقه ، ولا بخسه حقه ، وقال ابن بشكوال : كان أبو محمد أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة على توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار . وسننشر طرفاً صالحاً من جيد شعره .

الأمية والكتابيب

ليس في التاريخ ما يصح الاعتماد عليه في حال الأمية في الصدر الاول اللهم الا بضعة سطور مبعثرة في تضاعيف الاسفار . وغاية ما استخلصته أن الكتابة والقراءة والحساب انتشرت بين أهل الاسلام على الزمن ولم يكن تعليمها الناس إلزامياً حتماً بل كان اختيارياً على نحو ما أمر الرسول عليه السلام اسارى أصحابه في احدى الوقائع ان يفتدوا أنفسهم اذا لم يكن لهم مال بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة

والأمي والأمان من لا يكتب او من على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب وهو باقٍ على جبلته كما جاء في القاموس وزاد في التاج إنا امة امية لانكتب ولا نحسب اراد انه على أصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الاولى . وقال بعضهم ومجاز الامي على ثلاثة وجوه قولهم أمي